اللّغة العربية وتعليم الطب: جامعة الخليج الطبية بدولة الإمارات العربية المتحدة أنموذجا

د. أحمد صبيحي

مقدمة:

تُعدّ اللغة العربية والتعليم الطبي من أهم المحاور، لما توفره جملة من النتائج على مستوى الإتصال ونشر اللغة، وتقديم العلاجات للمرضى والنصائح والمصطلحات التي لايسهل توصيلها للعربي إلاّ باللغة العربية.

ونظرا لأهمية الموضوع اخترت هذا المحور القيّم لسببين: أولهما حبي للغة العربية الجميلة، ثانيهما مجال عملي بجامعة الخليج الطبية الرّائدة في دولة الإمارات العربية المتحدة.

في حدود معلوماتي المتواضعة فإن كل الجامعات الطبية في الوطن العربي الكبير لا تستخدم اللغة العربية في مجال التدريس إلا في سوريان موريتانيا والمملكة العربية السعودية.

وبالتالي فالورقة ستناقش مسألة اللّغة العربية والتعليم الطبي، وكنموذج أخذت جامعة الخليج الطبية بدولة الإمارات العربية المتحدة. كما سأتطرق إلى المعوقات والمشكلات والتحدّيات التي تواجه تعليم الطب باللغة العربية، والحلول الممكنة لتعليم الطب باللغة العربية.

وأطرح الإشكالية التالية: هل يمكن استعمال التعليم المزدوج بين العربية والأجنبية في التعليم الطبي؟

والإشكالية الأخرى: هل تتوافر المراجع العلمية للتعليم الطبي باللغة العربية؟

وللإجابة عن هذه الإشكالات والتساؤلات، سأستخدم المنهج الوصفي التحليلي الإستقرائي لبيان ضرورة تدريس اللغة العربية في التعليم الطبي. وينتهي البحث بخاتمة تركز على أهم النتائج، والتوصيلت الضرورية التي ينصح بها من أجل الرّقي والتقدم في استعمال اللغة العربية، لما لها من إنسيابية وحركة على مر العصور.

الفصل الأول:

التجارب في تعليم الطب باللغة العربية

يقول صاحب كتاب «تجربتي في تعليم الطب باللغة العربية» إنه يوجد في العالم العربي نحو تسعين كلية طب منها (٧٨) كلية تدرس باللغة الإنجليزية وست كليات تدرس باللغة الفرنسية و٥ كليات تدرس باللغة العربية وكلية واحدة تدرس باللغة الإيطالية –هذه الإحصائية كانت وقت صدور الكتاب في طبعته الثانية عام ١٤١٦هـ (أي أكثر من ٢٢ سنة)، وقد زادت بعد ذلك بطبيعة الحال– وبما أن اللغة الإنجليزية هي الغالبة في تعليم الطب في المشرق العربي فسأذكر في الأسطر التالية تجربة ناجحة في المشرق العربي نفسه لتعليم الطب باللغة العربية. (١)

وهنا يمكن طرح السؤال ماهي التجارب الرائدة التي اسهمت في تعريب الطب في العالم العربي؟

إلى وقت ليس ببعيد لا يزال الطب يدرس باللغة العربية في سوريا، يقول مؤلف كتاب «تجربتي في تعليم الطب باللغة العربية»: «في عام ١٩٨٢م شاركت في مهرجان العلم في سوريا والتقيت بصديقي الأستاذ الدكتور زهير حلاج عميد كلية طب في اللاذقية فدعاني لحضور بعض المحاضرات في كلية الطب واستمعت إلى محاضرات تلقى باللغة العربية فوجدت الطلبة والأساتذة يتحاورون ويتناقشون بطلاقة واضحة وبحيوية بالغة وهي ظاهرة تكاد نفتقدها في كليات الطب التي تدرس باللغة الإنجليزية، نفس الملاحظة وجدتها في كلية طب بدمشق

حيث وجدت المحاضر قادراً على التعبير عن نفسه بلغة عربية سليمة، كما وجدت الطلاب يناقشون ويجادلون بحيوية وانطلاقة مما زاد في إيماني بضرورة تعليم الطب باللغة العربية، ويقول في موضع آخر من الكتاب: قد يظن بعضهم أن تعليم الطب باللغة العربية في سوريا أدى إلى تدني مستواه وهم لا يقولون هذا عن إسرائيل التي تعلم الطب باللغة العبرية، ولكي نحقق في الأمر بحثنا نتائج الأطباء السوريين في امتحان المجلس التعليمي للأطباء الأجانب وهو امتحان تعقده الولايات المتحدة الأمريكية عدة مرات في كل عام ويتقدم إليه في كل مرة نحو عشرة آلاف طبيب من مختلف أنحاء العالم ومن يجتازه يحق له العمل أو الدراسة الطبية العليا في الولايات المتحدة الأمريكية واتضح أن الأطباء السوريين لا يقل مستواهم في الامتحان المذكور عن مستوى زملائهم الأطباء في مختلف أنحاء العالم. ويقول: وننبه القارئ إلى أن امتحان المجلس التعليمي للأطباء الأجانب يعقد باللغة الإنجليزية أي أن تعلم الطب باللغة العربية لم يكن عائقاً أمام الأطباء السوريين يحول دون أدائهم للامتحان واجتيازهم له بنجاح ما رواه الأستاذ الدكتور زهير أحمد السباعي في كتابه آنف الذكر لا يستغرب بل هو المتوقع من اللغة العربية بالنسبة للإنسان العربي، اللغة العربية سابق لا يلحق ولا حق لا يسبق في البيان والإيضاح للمعلومة للطالب العربي وللمدرس العربي. هذه الشهادة الواقعية الموثقة لها مصداقيتها إذ هي معززة ومؤيدة بما هو مثبت في أدبيات قضية التعريب، ومن ذلك ندوة تعريب التعليم الطبي والصحي التي عقدت في دمشق عام ١٩٨٨م والتي شارك فيها ثلاثة عشر وزيراً وأربعون من عمداء كليات الطب في العالم العربي فقد قررت هذه الندوة أن يكون عقد التسعينيات هو عقد التعريب الطبي» وهذه التوصية لم تصدر من فراغ وإنما هي تعبير عن قناعة راسخة بأن تعريب التعليم الطبي هو الأصلح للأمة العربية، وفي نفس السياق انعقد المؤتمر الإقليمي لتعريب الطب الذي عقدته منظمة الصحة العالمية في القاهرة عام ١٩٩٩م الذي شارك فيه ستة وثلاثون من عمداء كليات الطب وأساتذة العلوم الصحية والطبية في العالم العربي وعدد من ممثلي المؤسسات والهيئات العربية، واتفق المؤتمرون على أن يبدأ بتطبيق التعليم الطبي باللغة العربية على الفور في البلاد العربية» وقد جاء في قرارات المؤتمر: «يؤكد المؤتمر أن تعليم العلوم الصحية باللغة الأم عمل ثقافي وحضاري وعلمي يضمن حسن الاستيعاب ويُسر العملية التعليمية مما يؤدي إلى تحسن أداء الخدمات الصحية ورفع المستوى الصحي بوجه عام، ويسجل -المؤتمر- بكل اعتزاز تلك الصحوة النشيطة لحركة تعريب الطب الصحي والطبي التي سادت العالم العربي في السنوات الأخيرة»، وانتهى المؤتمر إلى أن «تعريب التعليم الصحي والطبي هدف التزمت به مختلف المنظمات والمجالس والهيئات المختصة ودعت إلى تحقيقه في كل كليات الطب بحلول سنة ألفين». وفي تقرير لجامعة أسيوط بجمهورية مصر العربية ما نصه: «يتميز التدريس بالعربية للطالب العربي بأن نقل الأفكار يتم بطريقة مباشرة سلسة دون حاجة لترجمة داخلية تعوق التلقي المباشر واللغة الأم تلقي بظلالها على المعاني فتكسبها ثراء واتساعاً وتلخصها بنفس المتلقي وذوقه فتترك لديه أثراً باقياً وقد لاحظنا أن اللغة التلقائية تجعل الطالب أكثر ثقة بما يقول وأكثر تعبيراً عن مشكلاته وجرأة على المناقشة والحوار» وقد أيدت القمة العربية المنعقدة في دمشق عام ٢٠٠٨م هذا التوجه وأيده مؤتمر القمة المنعقد في الدوحة عام ٢٠٠٩م، وإنفاذاً لذلك أعلنت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم أنها أطلقت مشروع تعريب التعليم في الوطن العربي وذلك في إطار تنفيذ مشروع النهوض باللغة العربية لدخول مجتمع المعرفة الذي اعتمدته قمتا دمشق والدوحة، وسواء أعلنت المنظمة العربية والثقافة والعلوم أنها أطلقت مشروع تعريب التعليم في الوطن العربي أو لم تعلنه ولم تطلقه، فقد برز للعيان أن تعريب الطب حاز على توصيات وعلى قرارات ترقى إلى درجة اليقين بأن تعريبه واجب وطني لا يتوقف على جهد تقوم به المنظمة العربية لأن الذين أوصوا بتعريب التعليم الطبي هم ذوو الاختصاص في التعليم الطبي لأنهم عمداء في كليات الطب «فسأل به خبيراً»، «ولا ينبئك مثل خبير» «وأهل مكة أدرى بشعابها» كما يقول المثل. وشاركهم وزراء في نفس الاختصاص. وما يصدق على التعليم الطبي يصدق على بقية العلوم البحتة، والمنظمة العربية المذكورة تعرف هذا قبل غيرها ويعرفه الجميع. (٢)

الفصل الثاني:
حقيقة وواقع التعريب في سوريا

بدأ تدريس الطب بالعربية في سوريا منذ نشأة جامعة دمشق. ففي عام ١٩١٩ افتتح معهد الطب العربي الذي شكّل، مع معهد الحقوق بدمشق، نواة الجامعة السورية التي تأسست رسمياً سنة ١٩٢٣، وتغير اسمها فيما بعد إلى "جامعة دمشق". وقد بدأت حركة تعريب الطب

منذ إنشاء المعهد، الذي تحول إلى كلية الطب لاحقاً. وكان للأساتذة الأوائل في المعهد فضل ترجمة المصطلحات العلمية ووضع الترجمات والمؤلفات الطبية العربية، كما بدأوا عام ١٩٢٤ بإصدار المجلة الطبية العربية. وكما كانت اللغة العربية لغة التدريس في جميع كليات وفروع جامعة دمشق، فإنها كانت كذلك في الجامعات الأخرى التي أنشأت فيما بعد: حلب والبعث وتشرين. ليست قضية قومية فقط تفاخر الجامعات السورية الأربعة بأنها الوحيدة في العالم تقريباً التي تدرس الطب بالعربية. إذ أن جميع كليات الطب الأخرى في العالم العربي تدرّس بالإنكليزية أو الفرنسية، باستثناء بعض المدارس في السودان وليبيا. لا بد أن تدريس العلوم باللغة الأم يساهم في الحفاظ على الهوية الثقافية من الضياع، والحفاظ على حيوية اللغة عبر اتصالها مع تطورات العلم وإنجازاته. لكن المسألة لا تقتصر على ذلك، فالدراسة باللغة الأم، وفقاً لدراسات علمية، تحقق للطالب فهماً أعمق وأسرع ونتائج أفضل. وقد أوصت اليونسكو (منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة) باستخدام اللغة الوطنية في التعليم إلى أقصى مرحلة ممكنة.

في دراسة للمركز العربي للوثائق والمطبوعات الصحية أُجري اختبار لطلاب طب في جامعة الملك فيصل بالسعودية، أظهر أن القدرة على استيعاب النصوص الطبية هي أعلى عندما تكون هذه النصوص بالعربية. وحسب الدراسة المذكورة، فإن طالب الطب تزداد سرعته ٤٣ بالمئة، وتتحسن قدرته على الاستيعاب بنسبة ١٥ بالمئة فيما لو قرأ بالعربية. الطلاب يشتكون لكن اليوم، بعد أكثر من ٨٠ عاماً على انطلاق هذه التجربة، التي أثبتت نجاحاً ملفتاً في البداية، يشتكي الكثير من طلاب الطب في الجامعات السورية من أن تعريب الطب يعاني صعوبات كثيرة تنعكس على الطالب وأدائه. ففي حين أن حركة التعريب انطلقت بحيوية وكفاءة في مطلع القرن الماضي، لتضع أسس لغة طبية عربية، رغم الفجوة الكبيرة التي كانت تفصل العرب ولغتهم عن العلوم بشكل عام في ذلك الحين، فإنها اليوم تبدو غير قادرة على متابعة التطورات الهائلة في العلوم الطبية. إن المكتبة الطبية العربية في وضعها الحالي عاجزة عن استيعاب التطور الهائل والسريع في العلوم الطبية الذي يسير بسرعة أكبر بكثير مما كان عليه في السنوات السابقة، حين كانت حركة التعريب في أوجها. فهذه الحركة التي تقوم على كاهل أساتذة وأطباء سوريا وحدها، تفتقر الآن إلى الإمكانات اللازمة لرفد المكتبة الطبية باستمرار بالعدد المطلوب من الترجمات الحديثة. فالكثير من الكتب المعتمدة في المناهج السورية اليوم لم يتم تجديدها منذ سنوات عديدة؛ وحتى "المعجم الطبي الموحد"، الذي يعدّ المرجع الأساسي للمصطلحات المعرّبة، لم يخضع لأي تطوير أو تجديد منذ سنوات أيضاً. يقول أحد طلاب الطب في موقع ٢+٤٨ للطلاب السوريين على الإنترنت، معلقاً على هذا الموضوع: "عندما يمسك

الطالب مرجعاً أجنبياً، يبدأ بالتخبط بين صفحاته الأولى وبين صفحات المعجم العربي الطبي الموحد حتى يزهق ويملّ ويعود إلى الكتاب الجامعي الحديث الذي تعود معلوماته إلى أوائل الثمانينات أو التسعينات".

وفي ظل هذا الواقع فإنه لا يمكن للطلاب والأطباء الاستغناء عن المراجع الأجنبية والدوريات والدراسات التي تتضمن كل ما هو جديد في الطب. والكثير من الطلاب يرون أنهم لا يدرسون المقررات العربية إلا لاجتياز الامتحانات الجامعية، فهم في النهاية يلجؤون إلى المراجع والمصادر الأجنبية للحصول على المعلومات الطبية الكاملة والحديثة. ولهذا يتساءل هؤلاء عن جدوى التدريس بالعربية وتحميلهم عبء دراسة الطب بلغتين؟

وفي الخارج طلاب آخرون يشكون من أن اللغة العربية تصبح عائقاً لهم حين يقررون الاختصاص في الخارج بعد التخرج. المعلوم أن الكثير من الطلاب السوريين يستكملون اختصاصهم الطبي في بلدان أوروبا أو في الولايات المتحدة، ويكون عليهم حينئذ أن يدرسوا بالإنكليزية أو غيرها من اللغات لاجتياز امتحانات التأهيل والقبول في البلدان التي يرغبون الدراسة فيها، مثل امتحان USMLE الأميركي وامتحان PLAB البريطاني. الحقيقة أن كليات الطب السورية لا تهمل تدريس اللغات الأجنبية. فهناك مقرر لغة إنكليزية أو فرنسية في السنوات الخمس الأولى من الدراسة الجامعية، كما تقرر العام الماضي تدريس مقرر طبي كامل في كل سنة بالإنكليزية أوالفرنسية. ولكن إذا أخذنا بعين الاعتبار ضعف تعليم اللغة الأجنبية في المرحلة ما قبل الجامعية، وعدم كفاية المناهج الجامعية لجعل الطالب متقناً للغة، فإننا يمكن أن نتوقع الصعوبة التي سيواجهها الطالب عندما يتحول إلى دراسة الطب بلغة أخرى بعد ست سنوات أمضاها في دراسة الطب بالعربية.

يقول طالب طب في جامعة حلب: "بعد أن ينهي الطالب دراسته باللغة العربية بكل فخر واعتزاز ويبدأ بالتطلع للدراسة في الخارج، يجد

نفسه غارقاً في مجاهل اللغة، خاصة وأن تعلم اللغة الاختصاصية لا يتم بسهولة كتعلم اللغة العامة، لذلك يفقد الطالب من سنوات عطائه عاماً أو عامين على أقل تقدير ليتمكن من اللغة الأجنبية على نحو جيد". لا بد من الإشارة هنا أنه رغم جميع هذه الحقائق، فإن الكثير من الطلاب السوريين يثبتون نجاحهم وتفوقهم حين ينتقلون إلى الخارج للاختصاص. وتثبت إحصاءات ودراسات أجريت بهذا الخصوص أن الخريجين السوريين يتابعون دراستهم في الولايات المتحدة بقدرة لا تقل إطلاقاً عن قدرة الطلاب العرب الذين درسوا الطب بلغات أجنبية في بلادهم. لكن يجب ألا يغيب عن بالنا الجهد المضاعف الذي بذله هؤلاء حين تحملوا عناء دراسة الطب بالعربية ثم بالإنكليزية، والوقت الذي أضاعوه في ذلك.

وفي مسح أجراه المجلس الصحي الأميركي الدولي AIHC بين الطلاب المتخرجين من الجامعات السورية والذين يعملون أو يدرسون حالياً في الولايات المتحدة، ظهر أن ٣٢ بالمئة من هؤلاء الطلاب اعتبروا أن انتقالهم إلى دراسة الإنكليزية والتحضير للامتحانات الأميركية كان سهلاً، بينما اعتبره ٢٤ بالمئة صعباً، و٤٤ بالمئة صعباً بعض الشيء. وكانت أغلب الصعوبات، حسب الدراسة، متعلقة باللغة وليس بالمصطلحات العلمية، مما يشير إلى إمكانية تجاوز هذه المشكلة بتحسين تعليم اللغة (العامة أولاً ثم الطبية الخاصة) في المرحلة الجامعية وما قبل الجامعية.

وقد سئل المشاركون في هذا المسح عن رأيهم في التجربة السورية في تعريب الطب، فكانت النتيجة أن معظمهم (٨٥ بالمئة) يرون أن هذه التجربة "ممكن أن تنجح"، كما أن معظمهم اتفقوا على أن التدريس بالعربية هو ضرورة علمية وثقافية. في النهاية إن تجربة تعريب الطب في سوريا هي تجربة رائدة بلا شك، أو أنها بدأت كذلك على الأقل. وقد قطعت الجامعات السورية في ذلك شوطاً كبيراً، وخرّجت الآلاف من الأطباء الذين أثبتوا نجاحهم داخل البلاد وخارجها. إلا أن هذه التجربة تواجه الآن تحدياً كبيراً يتهدد استمرارها، لا يمكن التغلب عليه إلا بإعادة تقييم التجربة ودراسة نقاط الضعف فيها. إن ترجمة المراجع الطبية تتطلب جهوداً هائلة من الأساتذة والهيئات التعليمية، لتتمكن من تقديم كتب ومراجع عربية، بلغة سلسة سهلة الفهم، ومحتوى يوازي كفاءة الكتب والمراجع الأجنبية. ولعل تحقيق ذلك يتطلب إصلاح نواح كثيرة في الجامعات وغيرها من المؤسسات التعليمية، كتغيير القواعد الناظمة لتأليف وإصدار الكتب الجامعية المعمول بها منذ تأميم الكتاب الجامعي عام ١٩٦٣، إضافة إلى قواعد أخرى في أنظمة عمل الجامعات لا مجال لذكرها هنا. وبغض النظر عن قصور المراجع الطبية العربية عن تغطية تطورات الطب المتسارعة، فإن إتقان اللغة الأجنبية –لا سيما الإنكليزية– يبدو ضرورة ملحّة سواء لدارس الطب أو ممارسه. فيجب تطوير طرق تدريس اللغة الأجنبية، وإدخالها بقوة أكبر في مناهج كليات الطب، بحيث يتقنها جميع الطلاب حتى لا تفوتهم فرصة الإطلاع على العلوم الطبية الحديثة شاملة غير منقوصة.

يمكن أن نقول في النهاية أن تجربة تعريب الطب، إن استمرت بشكلها الحالي، تعدّ تجربة أقرب إلى الفشل منها إلى النجاح، فهي لا تلبّي احتياجات الطلاب والعاملين بحقل الطب. وسبب هذا الفشل هو فينا وليس في لغتنا العربية؛ أي أنه في تطبيق مبدأ تعريب الطب، لا في المبدأ نفسه، والدليل أن هذه التجربة أثبتت نجاحها لفترة طويلة في سوريا، قبل أن تتراجع مع تراجع التعليم الجامعي بشكل عام. والحل الآن هو العمل لإنقاذ تجربة هي من الأمور "القليلة" التي ما زال يمكن أن نفتخر بها في جامعاتنا اليوم، أو الاعتراف بفشل هذه التجربة واعتماد اللغات الأجنبية بديلاً. (٤)

الفصل الثالث:
الواقع والتحدّيات

وواقع اللغة العربية خرج من دائرة الشك إلى دائرة اليقين واعترف العالم باللغة العربية في المحافل الدولية، ومن الواجب أن يراجع العرب مواقفهم من قضية تعريب تعليم العلوم البحتة بعد أن فشل مشروع التعجيم في تحقيق التقدم المطلوب، تجربة التعجيم في الوطن العربي منحت من الزمن الثمين الشيء الكثير وهو ما لم يسبق لتجربة تعليمية أن منحته على مر لتاريخ لقد مضى على هذه التجربة ما يزيد على قرنين من الزمن ولا يزال وسيظل حصاد الأمة العربية من هذه التجربة التخلف والإحباط طويل الأمد فيما يخص تعليم العلوم البحتة وخسارة وقت وجهد ومال لا تنكر، لقد تيقن العالم أجمع أن اللغة الأم هي الأجدر وهي الأحق بأن تكون لغة العلم ولسان التعليم

في كل دولة، وفي هذا السياق يذكر الباحثون اللغة اليابانية كمثال حيث أصبحت لغة علم لليابانيين ولمن وفد عليهم لينهل من علمهم ولا أحد ينكر ذلك. ومثلها اللغة البولندية واللغة العبرية واللغة الدانمركية ولغة السويد وغيرها، لقد أصبحت لغات دول صغيرة كهذه الدول لغات علم لأن أبناء كل دولة من هذه الدول يتعلمون جميع العلوم بلغتهم الأم بل إن دولة فيتنام بعد استقلالها تعلم أبناؤها الآن جميع العلوم باللغة الفيتنامية، وبهذا المفهوم يعتبر تعجيم تعليم العلوم البحتة في الوطن العربي غلطة تعليمية تاريخية كبرى لا نظير لها، وبما أن اللغة العربية إحدى اللغات الست المعترف بها دولياً ولها تاريخها المجيد فإن من واجب العرب تفعيلها باعتبارها لغة علم وعليهم أن يقروا بأن اللغة العربية أفضل لسان تعليم للإنسان العربي الذي نطق أول ما نطق بها، ونشأ منذ حداثته عليها مستمعا إليها ومتحدثاً بها حتى ترسخت في ذاكرته ووجدانه وعقله وتكون لديه إحساس عميق بها وشعور مرهف لها كما يقول الباحثون، لقد تأكد لكثير من الباحثين من ذوي الاختصاص أن تخلف الأمة العربية له أسباب وأن من أهم هذه الأسباب نكبة الأمة العربية في لسانها في التعليم ويقولون: إن من أسباب تخلف الأمة العربية أيضا تقصير الأمة العربية في الترجمة وإذا كان ما أوردته بعض وسائل الإعلام العربية صحيحا من كون ما تترجمه الدول العربية من العلوم إلى اللغة العربية في عام يقل عما تترجمه دولة اليونان إلى لغتها فذلك أمر من العسير الاعتذار عنه، لقد كان قدر الطالب العربي أن يحرم من حقه الإنساني في استخدام لغته الأم اللغة العربية في تعليمه العلوم البحتة زمناً طويلاً، ومن العلوم أن اللسان من أهم حقوق الإنسان ومبدأ حقوق الإنسان تسعى الدول لتفعيله، وكان قدر الطالب العربي أيضاً أن يعيش صعوبة التعلم بغير لسانه العربي المبين، ولقد كان قدره كذلك أن يبقى بائساً يترجم لنفسه ممتلئاً غماً على غم فوق ثرى وطنه العربي من أقصاه إلى أقصاه جيلا بعد جيل، وما دام الطالب شريكا فاعلا في التخطيط لمستقبله في التعلم وغيره فلماذا لا يستفتى الطالب العربي وتعرف رغبته هل يرغب التعجيم أم يرغب التعليم بلسانه العربي في تعلم العلوم البحتة وغيرها لقد حرم الإنسان العربي من التمتع بلغته في المكتبة العربية، كما حرم الطالب من الاطلاع والبحث اللاصقي ومتابعة المستجدات بسبب افتقار المكتبة العربية من العلوم البحتة باللغة العربية نتيجة تقاعس الأمة العربية المزري في الترجمة ومع كل هذا فإن الباحث يستطيع أن يقول بثقة وبأمل للطالب العربي بخاصة وللإنسان العربي والباحث بعامة إن إقامة مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود لخدمة اللغة العربية جدير بأن يحقق الأمل المنشود والعزة والكرامة المبتغاة لكل طالب ولكل باحث ولكل راغب في التعلم وفي المطالعة والتزود من العلم في العلوم البحتة وغيرها، مركز الملك عبدالله لخدمة اللغة العربية مبادرة شجاعة وفعالة وموفقة جاءت في وقتها المناسب ولا يقل عنها بحال اعتماد جائزة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله السخية للترجمة إلى اللغة العربية ومنها نقول: إن هذه الجائزة مبادرة تاريخية عملاقة عميقة الأثر عميقة الجدوى، الأمة العربية أحوج ما تكون إليها في حاضرها وفي مستقبلها وبخاصة في تعليمها فحيا الله كل مبادرة بناءة وكل خطوة راشدة رائدة حكيمة. (٥)

إنّ الأمر جدّ خطير وإننا إن لم نفعل اليوم شيئاً فإننا نستحق لوم الأجيال التي ستأتي بعدنا وليست المسألة أن اللغة الإنجليزية هي لغة العصر فإنها كما يقول العارفون لغة متفوق لا يلبث أن يتراجع عن تفوقه وسيطرته وأعجبتني ملاحظة طالبة تركية في جامعة برنستون حول محاضرة لأستاذ في الجامعة حول دور أمريكا الإمبريالي حيث قالت الطالبة: " أنتم تتحدثون عن العالم كأنّه فراغ مهمل ، وكأنّ الدول الفقيرة والضعيفة ستظل كذلك إلى الآبد. إنّ هذه الدول قد تصحو فجأة وتصبح لها مكانة عالمية قبل أن تدركوا "

الفصل الرابع:
جامعة الخليج الطبية في عجمان
نموذج الدراسة

جاء جامعة الخليج الطبية إلى حيّز الوجود مع المرسوم الذي أصدره وزير التعليم العالي والبحث العلمي أنذاك، معالي الشيخ نهيان بن مبارك آل نهيان بتاريخ ١٠ يوليو ٢٠٠٨ لإنشاء كلية الخليج الطبية، وتمت الموافقة عليه رسميا باسم جامعة الخليج الطبية، وبموجب المرسوم رقم ١، الصادر بتاريخ ٢٨ يناير، أصدر صاحب السمو الشيخ حميد بن راشد النعيمي، حاكم عجمان وعضو المجلس الأعلى لدولةالإمارات العربية المتحدة في عام ١٩٩٨.(٧)

بدأت الخليج الطبية بكلية مع برنامج بكالوريوس طب وجراحة وبعد ذلك تم إضافة برنامج بكالوريوس العلاج الطبيعي في أكتوبر

٢٠٠٠. اليوم وقد اعترفت وزارة التعليم العالي والبحث العلمي في جامعة الخليج الطبية كمركز للتميز، كما سمحت الجامعة لدخول السوق وأُضيفت البرامج في فارم D، DMD، برامج الماجستير في علم الأمراض السريرية، وعلم السموم والصحة العامة.

تُركز جامعة الخليج الطبية على المجالات الأساسية الثلاثة: التعليم الطبي، والرعاية الصحية والبحوث، حيث تسعى الجامعة إلى تطوير هذه المجالات الأساسية الثلاثة للتميز في المجال الطبي في السنوات القادمة.

وتعتبر هذه المؤسسة الطبية الأولى في المنطقة، إذ تقدم القبول في كل من البنين والبنات من جميع الجنسيات، وللجامعة بنية تحتية ومرافق متكاملة، والتي هي على قدم المساواة مع بعض المؤسسات الطبية التي أنشئت في العالم. (٨)

يُعتبر ثُومبَي مُحيّ الدين رئيس مجلس الأمناء لجامعة الخليج الطبية والرئيس المؤسس لمجموعة ثومبي الطبية في الإمارات والمنطقة تتخذ من إمارة عجمان مقرا لها حيث تحرص على تلبية متطلبات سوق العمل الإماراتي في كافة التخصصات الطبية التي يحتاجها القطاع الطبي في الدولة كما تواصل ترجمة رؤى القيادة الحكيمة وتطلعاتها المستقبلية في تمكين الشباب المواطن وتأهيليهم لسوق العمل و تلبية احتياجاته في مجال العلوم الصحية والمساهمة بتوفير الخبرات الكفؤة من المواطنين من العاملين في الإدارة الصحية وفي مجالات الدعم وخدمة الباحثين في مجال العلوم الصحية من خلال التطوير المستمر لبرامجها.

البرامج المتاحة: (٩)

البرنامج	الدرجة العلمية	المؤسسة العلمية
دبلوم في العلوم ما قبل السريرية	دبلوم	جامعة الخليج الطبية
بكالوريوس في العلوم الطبية الحيوية	بكالوريوس	
بكالوريوس في العلوم الصحية - تقنيات التخدير والجراحة	بكالوريوس	
بكالوريوس في العلوم الصحية – علوم التصوير التشخيصي الطبية	بكالوريوس	
بكالوريوس في العلوم الصحية - علوم المختبرات الطبية	بكالوريوس	
بكالوريوس العلوم الصحية - علوم التمريض	بكالوريوس	
بكالوريوس في الطب وبكالوريوس الجراحة	بكالوريوس	
بكالوريوس في العلاج الطبيعي	بكالوريوس	
طبيب في طب الأسنان	بكالوريوس	
طبيب صيدلي	بكالوريوس	
دبلوم في علم السموم	الدبلوم	
ماجستير في الصحة العامة	الماجستير	
ماجستير في علم السموم	الماجستير	
ماجستير في العلاج الطبيعي	الماجستير	
ماجستير في علم الأمراض السريري	ماجستير	
ماجستير في بيولوجيا الإنجاب البشري	ماجستير	

الخاتمة:

إذا كانت اللغة العربية، وهي القاسم المشترك بين الشعوب العربية – فإن اختلاف الأراء حول أهمية تدريس العلوم الطبية باللغة العربية وأهمية تعريب مصادر التعلّم لا زال يتجدد بين الحين والآخر، وبين القبول والرفض.

وهذه المسألة التي تثار هنا وهناك منذ سنة ١٩٢٣م، مع افتتاح أول كلية لتدريس الطب باللغة العربية في سوريا، ورغم الانطباعات

الإيجابية عن خريجي الكلية، من حيث المستوى التعليمي، إلا أن كل السنوات التي مرت لم تكن كافية للكف عن الجدل، الذي أثارته مجددًا آراء متباينة حول تخريج أول دفعة في كلية الطب بجامعة نواكشوط في موريتانيا، والتي اعتمدت الدراسة باللغة العربية.

اللغة قضية هامشية من وجهة نظر البعض، والأهم هو جودة منهج التعليم. من هؤلاء سيد أحمد ولد مكية، عميد كلية الطب في جامعة نواكشوط بموريتانيا، الذي يثني على المنهج العلمي، ويقول إنه "مستمد من نظام الكليات الطبية الدارسة بالفرنسية، لكنه يدرس بالعربية".

البعض الآخر يرى في تعليم الطب باللغة العربية مزايا، ويبدي حماسة لتدريس العلوم الطبية بها، ومنهم عميد كلية الطب بجامعة الإمام محمد بن سعود في المملكة العربية السعودية، والذي كانت له دراسة في الشأن ذاته.

يقول جواد لشبكة SciDev.Net: "في سوريا حلت المشكلة بتدريس مادة خاصة بالمصطلحات الطبية باللغة الإنجليزية".

ويضيف جواد: "عندما سافرت إلى بريطانيا للدراسات العليا، ساعدتني هذه المادة على التواصل ومواصلة التعليم هناك".

وعن أهمية وجود لغة مشتركة للتواصل بين الطبيب والمرضى، يذكر جواد تجربة عملية، حيث كان يشاهد المرضى العرب في المستشفيات البريطانية يستعينون بمترجم للتواصل مع الطبيب العربي، وهذا دليل على افتقاد الطبيب للغته الأم بعد أن يتعود على الدراسة بالإنجليزية.

يتعجب جواد من الانشغال بهذه الجدلية، بينما دول مثل إيطاليا ورومانيا، انتصرت للغتها الوطنية، الأقل انتشارًا من العربية، ودرست العلوم بها.

ويرى جواد أنه "بدلا من الانشغال بهذه الجدلية، علينا الاهتمام بتطوير التعليم الطبي، لا سيما في جانب الممارسة، والذي تفتقده كليات الطب في العالم العربي".

اتفاق غير وارد:

لا تبدي سلوى الفقير -أخصائية السكري والغدد الصماء في المغرب- حماسًا لأي اتجاه؛ "فللتدريس باللغة العربية ميزة وعيب، والأمر نفسه بالنسبة للتدريس باللغات الأجنبية". (١٣)

ليست اللغة هي القضية الحيوية، ولكن الأهم هو منهج التعليم ذاته".

ورغم ذلك يمكنني إقرار تعليم الطب باللغة العربية عندما يكون لدينا بحث علمي طبي جيد باللغة العربية، ليكون العالم مجبرًا على تعلم لغتنا لمتابعة ما ننتجه".

فهل يمكن أن يحدث ذلك؟ "أظن أن أمامنا وقتًا طويلًا حتى يحدث ذلك". على حد تعبير الرئيس السابق للمعهد القومي للكبد في مصر الدكتور محمد عز العرب.

التوصيات:

١. فتح تخصصات طبية مختلفة في جامعة الخليج الطبية بالإمارات:

أ. توفر عديد الأطباء وفي مختلف التخصصات ممن يملكون القدرة في استعمال اللغة العربية،

ب. باعتبارها جامعة خاصة دولية،

ج. تزايد عدد الطلبة العرب المقبلين على جامعة،

د. معظم طلاب خريجي الثانوية العامة من مناهج وزارية (المنهج العربي).

٢. دعم مسيرة اللغة العربية من خلال ترجمة الكتب الطبية والنشرات والأبحاث الطبية من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية.

٣. تشجيع الأطباء والدكاترة بكاتبة البحث باللغة العربية وبالمقابل الإنجليزية ليتسنى للجميع الأستفادة والتحصيل.

المراجع

(١) http://www.al-jazirah.com/٢٠١١٠١٠١/٢٠١١/ar٩.htm

(٢) http://www.al-jazirah.com/٢٠١١٠١٠١/٢٠١١/ar٩.htm

(٣) أولاً بدأت دراسة الطب في مصر في العصر الحديث أيام محمد علي (الكبير) عام (١٨٢٧) باللغة العربية واستمرت اللغة العربية لغة العلم حتى وقعت مصر في قبضة الاحتلال البريطاني سنة ١٨٨٢ وبعد مضي خمس سنوات من هذا الاحتلال تحول تعليم الطب إلى اللغة الإنجليزية (htm.٤٥/http://www.saaid.net/Doat/mazin

(٤) file:///C:/Users/Ahmed٤٧٦٣/Downloads/H-Teacing٢٠٪Medicine٢٠٪and٢٠٪Arabic.pdf

(٥) http://www.al-jazirah.com/٢٠١١٠١٠١/٢٠١١/ar٩.htm

(٦) نشرت في جريدة "المدينة المنورة" العدد (١١٧٨٨) السبت ١٧ صفر ١٤١٦هـ (١٥ يوليو ١٩٩٥م)

http://www.saaid.net/Doat/mazin/٤٥.htm

وأيضا يرجع إلى : https://en.wikipedia.org/wiki/Gulf___Medical___University

(٧) http://www.ajmannews.ae/news.php?id=١٣٢٦&cat___id=١

(٨) ×http://wam.ae/ar/details/١٣٩٥٢٣٩٧٨١٧٦٥

(٩) وهناك برامج أخرى في طريقها للإعتماد الأكاديمب في السنة الدراسية الجامعية المقبلة

×https://ae.mbastudies.com/٪D٪٨A٪vD٪٨٤٪٩D٪٨AC٪D٪٨A٪vD٪٨٥٪٩D٪٨B٪٩D٪٨A٪vD٪٨AA/٪D٪٨A٪vD٪٨٤٪٩D٪٨A
٪٣D٪٨٥٪٩D٪٨A٪vD٪٨B٪١D٪٨A٪vD٪٨AA-٪D٪٨A٪vD٪٨٤٪٩D٪٨B٪٩D٪٨B٪١D٪٨A٪٨D٨٪٩A٪D٪٨A٪-٩D٪٨A٪vD
٪٨٤٪٩D٪٨٥٪٩D٪٨AA٪D٪٨AD٪D٪٨AF٪D٪٨A٩/GMU/

(١٠) ×http://www.scidev.net/mena/education/feature/Language-medical-education-controversial-MENA.html

(١١) يراجع الموقع الرسمي للجامعة

× http://www.gmu.ac.ae/

×https://ae.mbastudies.com/٪D٪٨A٪vD٪٨٤٪٩D٪٨AC٪D٪٨A٪vD٪٨٥٪٩D٪٨B٪٩D٪٨A٪vD٪٨AA/٪D٪٨A٪vD٪٨٤٪٩D٪٨A
٪٣D٪٨٥٪٩D٪٨A٪vD٪٨B٪١D٪٨A٪vD٪٨AA-٪D٪٨A٪vD٪٨٤٪٩D٪٨B٪٩D٪٨B٪١D٪٨A٪٨D٨٪٩A٪D٪٨A٪-٩D٪٨A٪vD
٪٨٤٪٩D٪٨٥٪٩D٪٨AA٪D٪٨AD٪D٪٨AF٪D٪٨A٩/GMU/

(١٢) http://www.scidev.net/mena/education/feature/Language-medical-education-controversial-MENA.html

(١٣) تقول سلوى -التي درست الطب باللغة الفرنسية-: "الميزة أن التعلم بالفرنسية يمكّن الطبيب بسهولة من إكمال دراساته العليا بالديار الفرنسية، والعيب أنه يحرمه التواصل مع فئات المجتمع المختلفة بشكل جيد".

في المغرب أكثر من عشر لهجات، تختلف باختلاف المكان، والطبيب الجيد هو الذي يستطيع التعامل مع الكل، "وهذا يتطلب جهدًا من الطبيب يبذله بنفسه، ولا يتدرب عليه في دراسته الجامعية"، وفق سلوى.

تؤكد سلوى لشبكة SciDev.Net: "أنا شخصيا أستطيع التعامل مع كل اللهجات، لأني أنظم قوافل طبية في كل أنحاء المغرب، وألقي عليهم محاضرات في التوعية الصحية، أتحدث فيها بلهجة أهل المنطقة".

ولا يفوت سلوى تأكيد أن المتابعة الدائمة للأبحاث الجديدة في عالم الطب، يتطلب من الطبيب بذل المزيد من الجهد في إتقان اللغة الإنجليزية.

وتعترف سلوى بأنها ليست متمكنة من اللغة الإنجليزية، لذا تعتمد كثيرًا على مكاتب الترجمة، لمتابعة الأبحاث الجديدة في مجال تخصصها.